زِيَارَةٌ سَعِيدَةٌ

تأليف

أحمد محمّد علي صوّان

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

obeikandl.com

زِيَارَةٌ سَعِيدَةٌ

obeikandl.com

زِيَارَةٌ سَعِيدَةٌ

عَزَمَ أَحْمَدُ عَلَى زِيَارَةِ صَدِيقِهِ الحَمِيمِ سَلِيم، فَجَعَلَ يَسْتَعِدُّ لِلزِّيَارَةِ، وَلَبِسَ اللِّبَاسَ اللاَّئِقَ بِهِ، وَتَعَطَّرَ كَعَادَتِهِ، وَبَينَمَا هُوَ يَهُمُّ بِالخُرُوجِ رَآهُ أَخُوهُ أَيهَم، فَاقْتَرَبَ مِنْهُ وَقَالَ لَهُ:

- إِلَى أَينَ إِنْ شَاءَ اللهُ؟

أحمد: إِلَى صَدِيقِي سَلِيم، فَهُوَ مَرِيضٌ، أَلا تَعْرِفُهُ؟

أيهم: بلى أَعْرِفُهُ.

أحمد: أَتُحِبُّ أَنْ تُرَافِقَنِي؟ فَزِيَارَةُ المَرِيضِ وَاجِبَة!

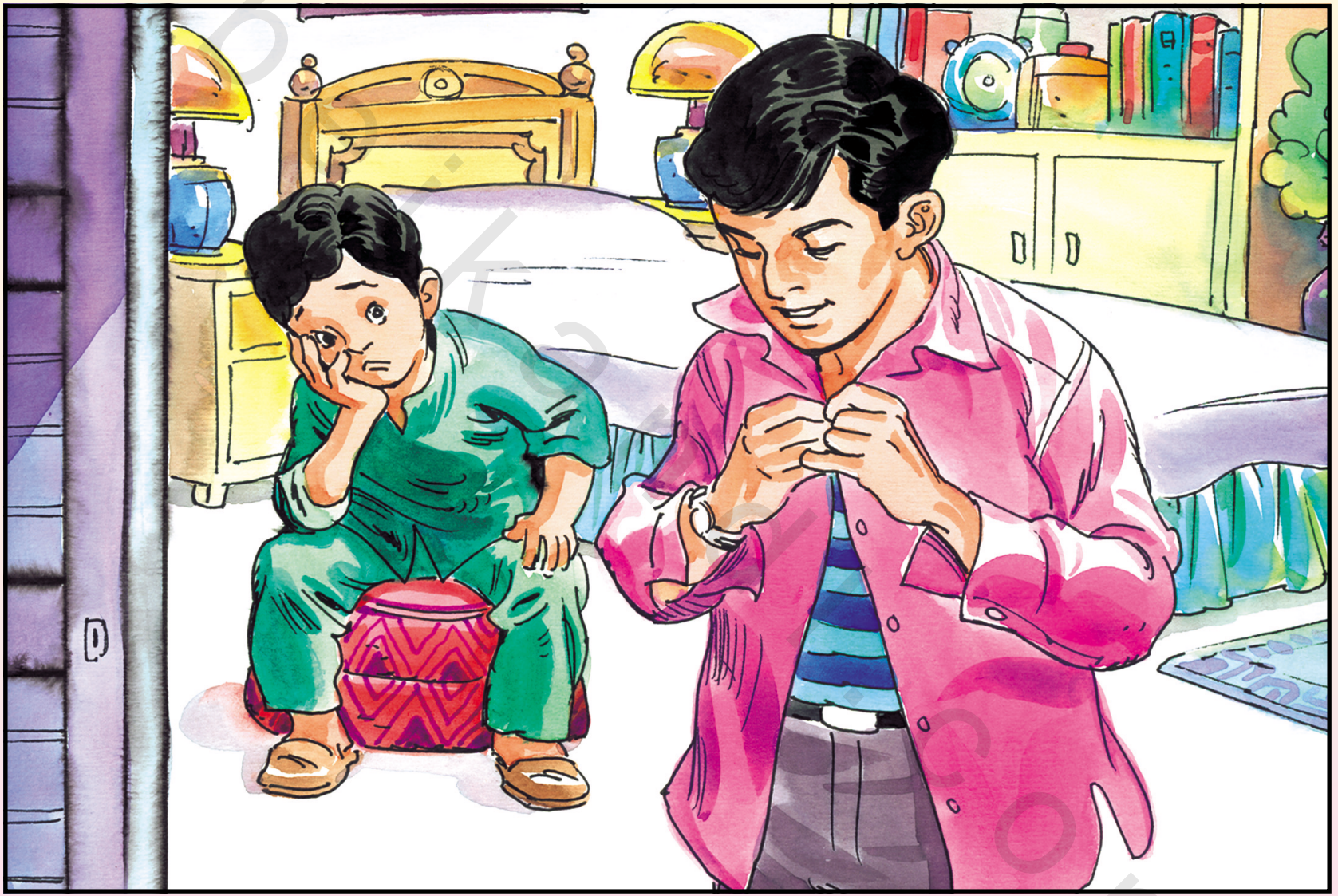

أيهم: ولِمَ لا؟ إِنَّني أَشْعُرُ بِالمَلَلِ، وَصَدِيقُكَ إِنْسَانٌ مَحْبُوبٌ وَيَدْخُلُ إِلَى القَلبِ مُبَاشَرَةً، لَكِنَّ المُشْكِلَةَ - يَا أَخِي - أَنَّ دُرُوسَكَ وَمُلاحَظَاتِكَ عَلَيَّ كَثِيرَةٌ، فَلا تَكَادُ تَتْرُكُ تَصَرُّفًا أَتَصَرَّفُهُ إِلاَّ وَتُحَدِّثُنِي عَنْهُ وَتُصَحِّحُهُ لِي! وَلَكِنْ أَمْرِي للهِ، سَأَذْهَبُ مَعَك.

وَلَدَى وُصُولِهِمَا إِلَى مَنْزِلِ سَلِيم، قَرَعَ أَحْمَدُ البَابَ بِلُطْفٍ، وَانْتَظَرَ الاثْنَانِ فَلَمْ يُفْتَحِ البَابُ، فَقَالَ أَيهَم: اقْرَعِ البَابَ بِشِدَّةٍ أَكْثَرَ!

فَقَالَ أَحْمَد: لا يَا أَخِي.. اصْبِرْ قَلِيلاً، فَالَّذِي أَعْرِفُهُ أَنَّ سَلِيمًا لا يَخْرُجُ مِنْ بَيتِهِ هَذِهِ الأَيَّام.

بَعْدَ قَلِيلٍ فُتِحَ البَابُ، وظَهَرَتْ أُمُّ سَلِيمٍ - وَهِيَ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ مَشْيُهَا بَطِيءٌ - وَقَالَتْ:

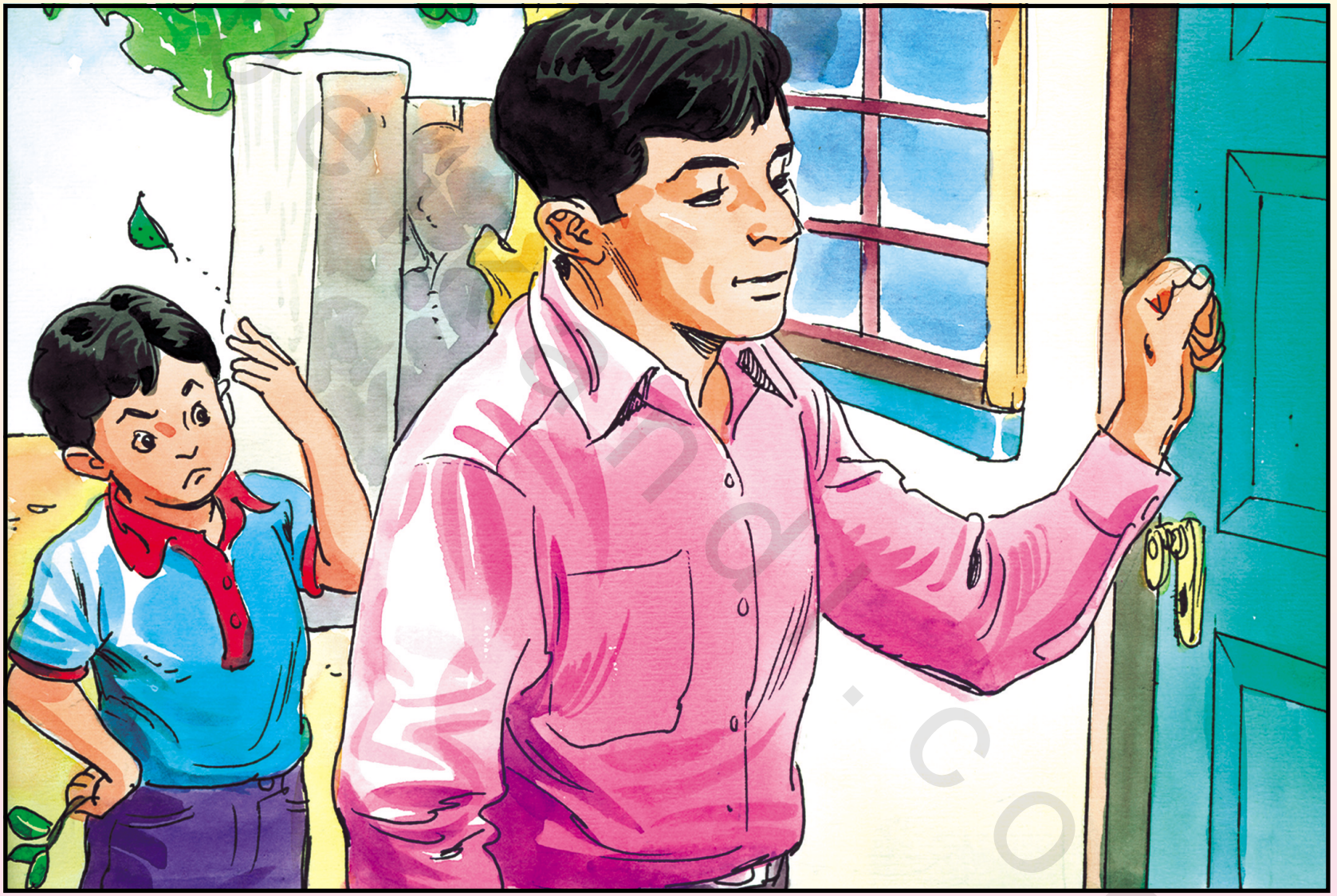

- أَهْلاً أَحْمَدُ.. تَفَضَّل بِالدُّخُول.

قَالَ أَحْمَد: كَيفَ حَالُك يَا خَالَةُ؟

أُمُّ سَلِيم: الحَمْدُ لِلَّه بِخَيرٍ يَا بُنَيَّ.

أحمد: وَكَيفَ حَالُ سَلِيم؟

أُمُّ سَلِيم: الحَمْدُ للهِ، لَقَدْ تَحَسَّنَ قَلِيلاً.. عَافَاهُ اللهُ. لَكِنَّهُ غَائِبٌ الآنَ، فَقَدْ أَخَذَهُ وَالِدُهُ إِلَى الطَّبِيبِ لِلمُرَاجَعَةِ.

قَالَ أَيهَمُ: لَمْ نَسْتَفِدْ شَيئًا مِنْ مَجِيئِنَا، فَصَدِيقُكَ غَيرُ مَوجُود.

هَمَسَ أَحْمَدُ فِي أُذُنِ أَخِيه: اسْكُتْ! أَصْلَحَكَ اللهُ.

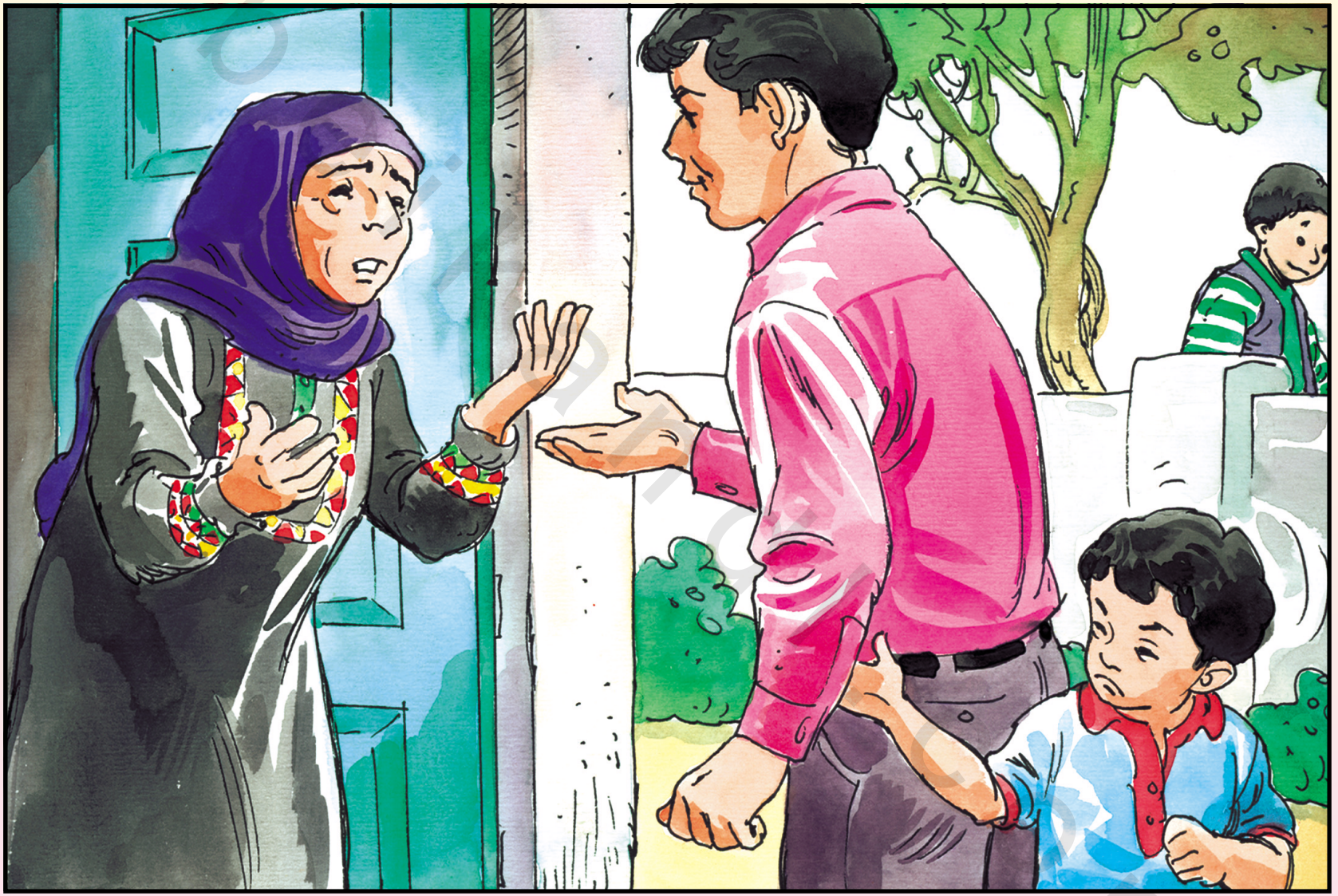

ثُمَّ التفتَ إِلَى أُمِّ سَلِيم وقَالَ لَهَا :

- سَنَعُودُ مَرَّةً ثَانِيَةً -إِنْ شَاءَ اللهُ- يَا خَالةُ.. بَلِّغِي تَحِيَّاتنا سَلِيمًا ووَالِدَهُ، أَرْجُو لَهُ تَمَامَ الشِّفَاءِ. ثُمَّ انْصَرَفَا...

عَرَفَ أَيهَمُ أَنَّ أَخَاهُ أَحْمَدَ رُبَّمَا يَقْسُو عَلَيهِ لِتَصَرُّفِهِ الَّذِي لَمْ يُعْجِبْهُ، وَقَدْ كَانَ مَا تَوَقَّعَهُ... فَبَعْدَ أَنْ مَشَيَا بِصَمْتٍ مُدَّةً مِنَ الزَّمَنِ، تَحَيَّنَ أَحْمَدُ الوَقْتَ المُنَاسِبَ وَقَالَ لأَخِيهِ :

- قَدْ تَقُولُ يَا أَخِي إِنَّنِي أُثْقِلُ عَلَيكَ، ولَكِنَّ الحَقَّ يَجِبُ أَنْ يُقَالَ فَيُتَّبَعَ. مَاذَا لَو سَمِعَتْكَ أُمُّهُ؟ أَلا نَقُومُ نَحْنُ بِوَاجِبِنَا نَحْوَ صَدِيقِنَا؟ فَقَالَ أَيهَمُ مُتَأَثِّرًا : بلى.

أحمد : إِذَن، تَحَقَّقَ بَعْضُ الغَرَضِ مِنَ الزِّيَارَةِ إِذْ لَمْ نَجِدْهُ! وَلَيسَ مِنَ الأَدَبِ أَنْ يُبْدِيَ

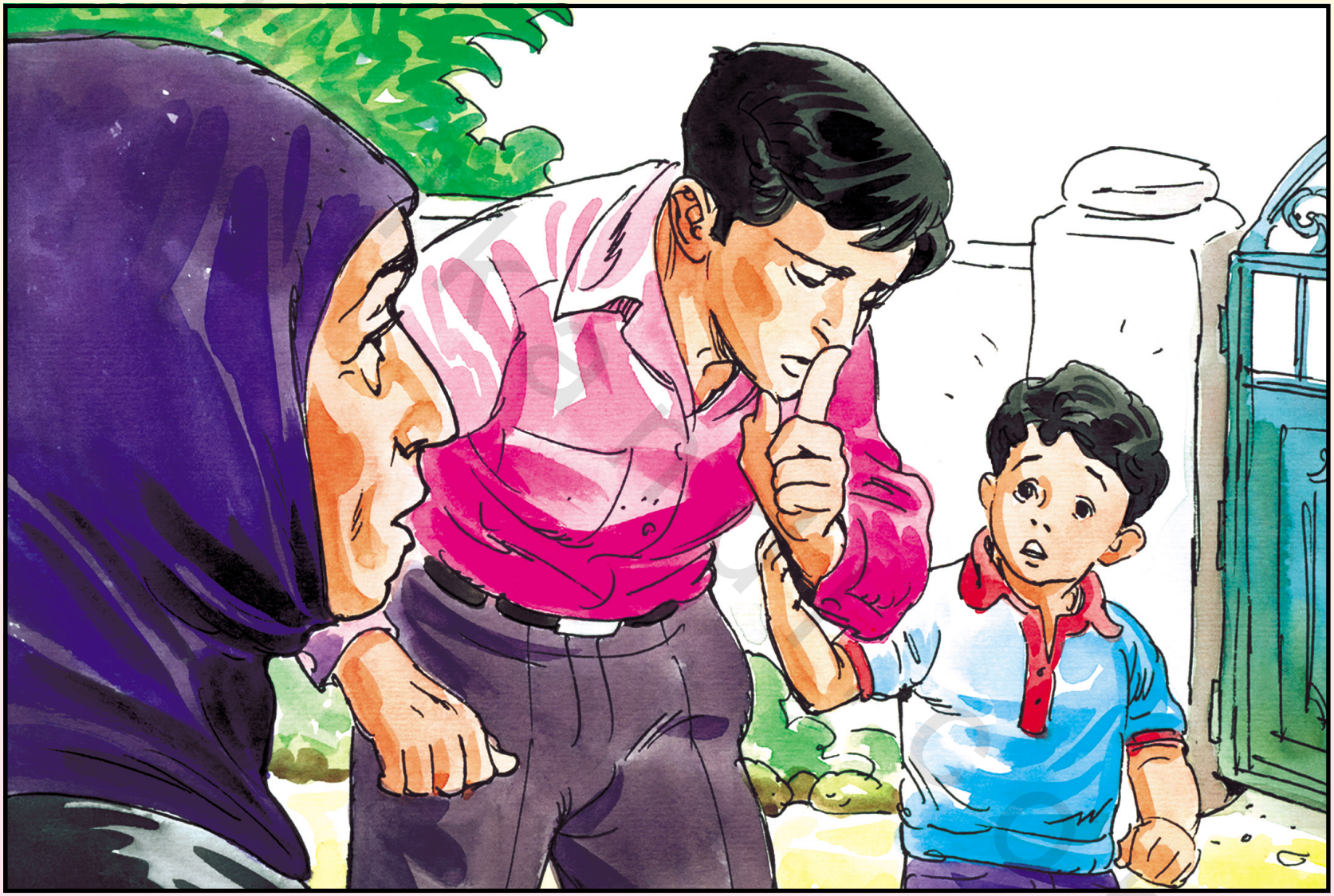

الإِنْسَانُ عَلامَاتِ التَّكَدُّرِ وَالانْزِعَاجِ إِذَا لَمْ يَجِدْ مَنْ ذَهَبَ لِزِيَارَتِهِ.. بَل يَكْفِي أَنْ يَتْرُكَ لَهُ سَلامًا، وَيَرْجُوَ لَهُ الخير.

تَلَقَّى أَيهَمُ كَلامَ أَخِيهِ بِأَدَبٍ وَامْتِثَالٍ، إِذْ طَالَمَا اسْتَفَادَ مِنْ صُحْبَتِهِ لأَخِيهِ وَمُرَافَقَتِهِ لَهُ فِي مَنَاشِطَ كَثِيرَةٍ، وَعَزَمَ عَلَى أَنْ يُلَبِّيَ طَلَبَ أَخِيهِ لاحِقًا عِنْدَمَا يَعْرِضُ عَلَيهِ إِعَادَةَ زِيَارَةِ هَذَا المَرِيضِ.

بعد مُدَّةٍ.. طَلَبَ أَحْمَدُ مِنْ أَخِيهِ مُرَافَقَتَهُ لِزِيَارَةِ صَدِيقِهِ المَرِيضِ فِي المَسَاءِ. وَكَمْ كَانَ سُرُورُ أَيهَمَ عَظِيمًا عِنْدَمَا رَاقَبَ سُلُوكَ أَخِيهِ وَهُوَ يَقُومُ بِوَاجِبِهِ نَحْوَ صَدِيقِهِ، وَيَسْأَلُهُ عَنْ صِحَّتِهِ وَكَيفَ أَصْبَحَتْ، وَيُصَبِّرُهُ عَلَى احْتِمَالِ الدَّوَاءِ، بِأَلفَاظٍ وَعِبَارَاتٍ رَقِيقَةٍ وَدَّ لَو سَجَّلَهَا! وَبَشَّرَهُ بِخِفَّةِ مَرَضِهِ وَقُرْبِ شِفَائِهِ، وَلَمْ يَنْسَ أَيهَمُ القِصَّةَ الَّتِي رَوَاهَا أَخُوهُ لِصَدِيقِهِ المَرِيضِ، الَّتِي حَدَثَتْ مَعَ

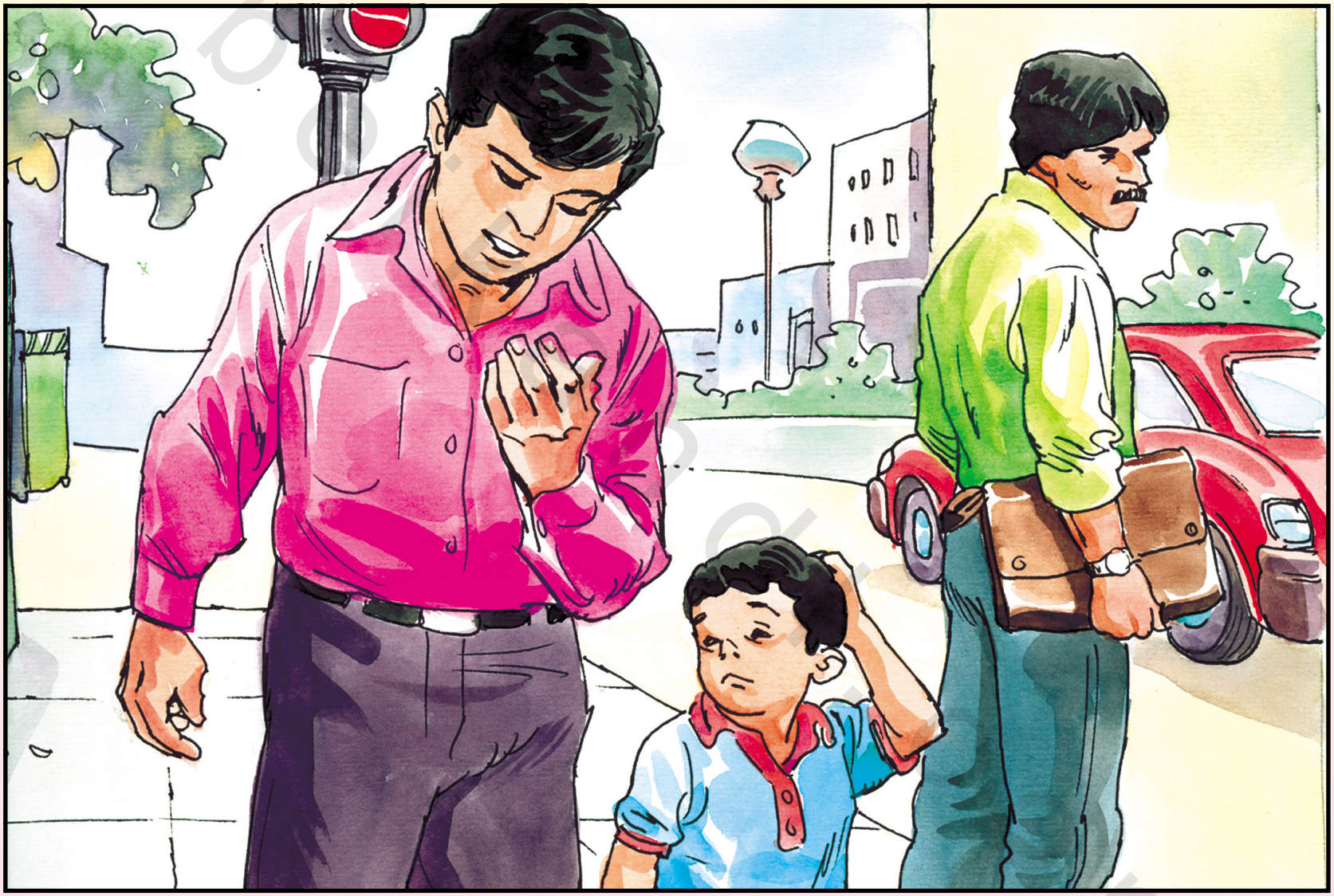

إِنْسَانٍ كَانَ فِي حَالَةٍ مَرَضِيَّةٍ أَصْعَبَ مِنَ الحَالَةِ الَّتِي كَانَ عَلَيهَا سَلِيم، وَمَعَ ذَلِكَ بَرِئَ هَذَا الإِنْسَانُ مِنْ مَرَضِهِ وَعُوفِيَ تَمَامًا. وَلَمْ يَكُنِ انْصِرَافُ أَحْمَدَ بِأَقَلَّ جَمَالاً وَنُعُومَةً مِنْ قُدُومِهِ، إِذْ وَدَّعَ صَدِيقَهُ بِالبَسْمَةِ، وَدَعَا لَهُ بِتَعْجِيلِ الشِّفَاءِ، وَسَلَّمَ عَلَيهِ وَمَضَى...

وَفِي الطَّرِيقِ كَانَ أَيهَمُ يُفَكِّرُ: فِي هَذِهِ الزِّيَارَةِ لَمْ أُخْطِئْ؛ لأَنَّنِي كُنْتُ مَشْدُودًا إِلَى تَصَرُّفَاتِ أَخِي وَصَدِيقِهُ، وَكَانَتْ هَذِهِ الجَلسَةُ بِالنِّسْبَةِ لِي دَرْسًا تَرْبَوِيًّا لَنْ أَنْسَاهُ مَا حَيِيتُ.

ثُمَّ التَفَتَ إِلَى أَخِيهِ قَائِلاً:

- يَا أَخِي.. هَل يُمْكِنُ أَنْ أَعْرِفَ لِمَاذَا تَزُورُ سَلِيمًا أَكْثَرَ مِنْ زِيَارَتِكَ لِغَيرِهِ مِنْ أَصْدِقَائِكَ؟

أحمد: بَارَكَ اللهُ فِيكَ يَا أَخِي.. الآنَ بَدَأْتَ تُفَكِّرُ تَفْكِيرًا سَوِيًّا.. سَأُجِيبُكَ بِاخْتِصَارٍ، فَلِلإِطَالَةِ وَقْتٌ آخَرُ. إِنَّ صَدِيقِي سَلِيمًا عَلَّمَنِي كَيفَ تَكُونُ الحَيَاةُ.

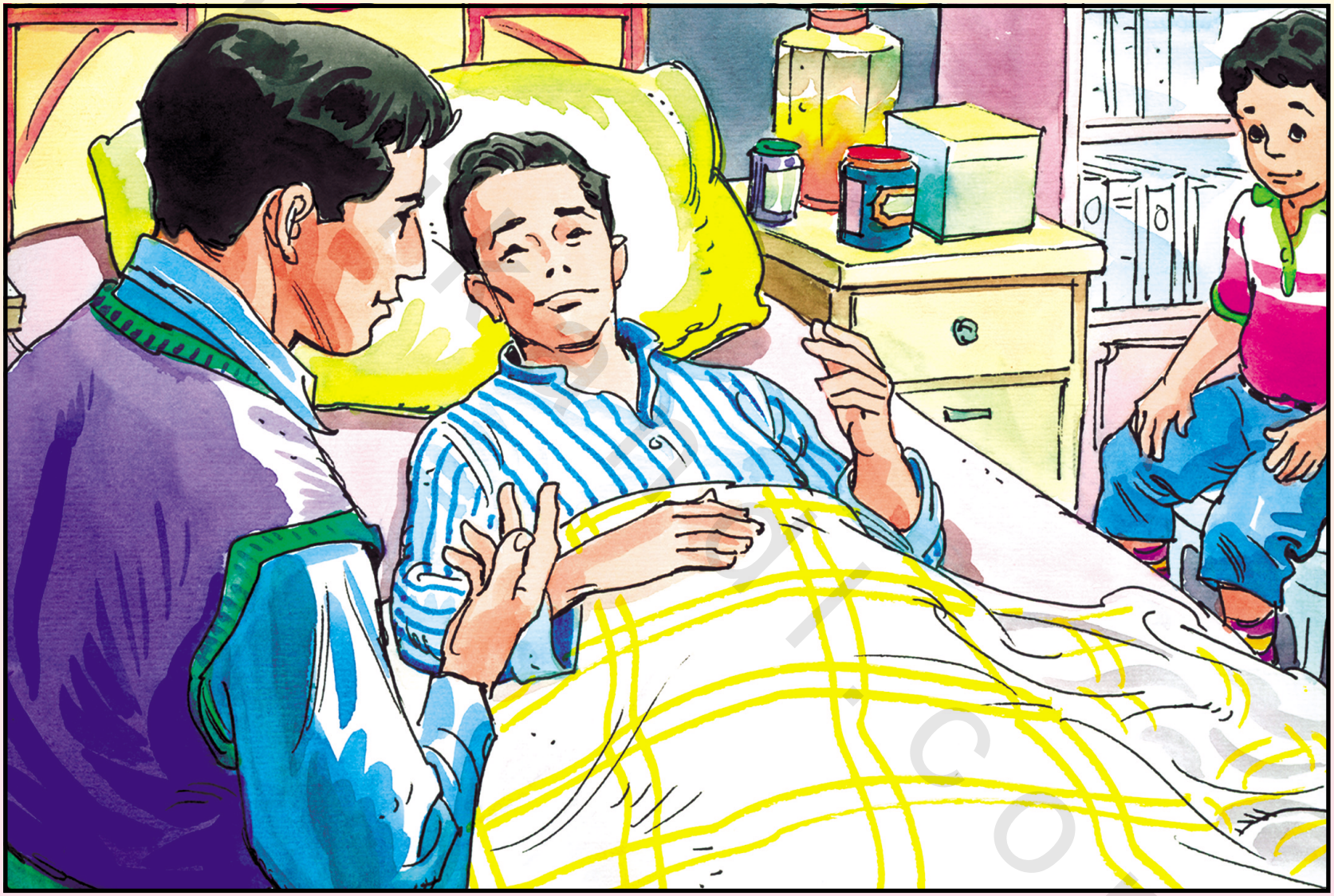

فَقَالَ أَيهَم: وكَيفَ ذَلِكَ؟

أحمد: عَلَّمَنِي بِسُلُوكِهِ قَبْلَ قَولِهِ أَنَّ الحيَاةَ لَيسَتْ أَكْلاً وَشُرْبًا ونَومًا، ولَا هِيَ عَمَلٌ فِي مَتْجَرٍ أَو مَصْنَعٍ فَحَسْبُ؛ لأَنَّ الحَيَاةَ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ حَيَاةٌ رَتِيبَةٌ كَالآلَةِ تَمَامًا.. وَقَدْ رَأَيتُهُ دَائِمًا يُحْسِنُ اسْتِعْمَالَ عَقْلِهِ فِي حَيَاتِهِ لِيَجْمَعَ بِينَ السَّعَادَتَينِ؛ السَّعَادَةِ الفِكْرِيَّةِ، وَالسَّعَادَةِ المَادِّيَّةِ. وَفَوقَ هَذَا كُلِّهِ لَمْ يَنْسَ رُوحَهُ وَمَا تَتَطَلَّبُهُ مِنْ سُمُوٍّ وَتَسَامٍ وَرِفْعَةٍ.

سُرَّ أَيهَمُ كَثِيرًا بِكَلَامِ أَخِيهِ.. وَتَابَعَا طَرِيقَهُمَا بِمَوَدَّةٍ، حَتَّى وَصَلَا إِلَى البَيتِ.

* * *